فصل 7

مراهقون

اضطراب معتدل

عندما لا تذهب سوى أقلية من الأمريكيين إلى الجامعة، لا يقلق الناس كثيراً بشأن «أنماط تعليم» الطلاب المختلفة، أو ما قد يكون في الواقع صعوبات في التعلم. إذا لم يكن التعبير اللفظي الدقيق يستهويك، يمكنك كسب عيشك بكثير من الطرق الأخرى.

لكن الوظائف مرتفعة الدخل الآن في أمريكة تتطلب شهادة جامعية -وتتطلب معظم الكليات تفكيراً عالي المستوى- وهناك فجأة اهتمام أكبر بمهارة الطلاب في قراءة، وتهجئة، وتفسير، وتذكر، وتنظيم المعلومات. ونتيجة لذلك، كانت هناك زيادة في عدد الشبان الذين لديهم صعوبات في التعلم، واضطرابات عصبية، وعدم المواظبة على الذهاب إلى المدرسة.

بالتأكيد، لا ينبغي الخلط بين اليافعين مع صعوبات في التعلم مع الأطفال الذين يعانون أمراضاً عقلية حادة، والذين يا للأسف ترتفع أعدادهم أيضاً. (كان التوحد لدى الأطفال قد ازداد تسعة أضعاف منذ سنة 1992. ارتفع عدد الأولاد الذين تتم معالجتهم بعقاقير للأمراض النفسية 138 % بين سنتي 1997 و2000). لا، يعاني معظم الأطفال الذين لديهم صعوبات في التعلم اليوم من ظروف صعبة كانت ستمر على الأرجح دون أن يلاحظها أحد قبل جيل مضى، لكنها أصبحت الآن -بفضل التقدم في أبحاث تطور الطفل والتدقيق من جانب الأهل والمدارس- مكشوفة.

الفرق واضح منذ مرحلة الطفولة الأولى. الطفل الذي كان يتم اعتباره، قبل خمس وعشرين سنة، «سريع الغضب» سيتم تشخيص حالته الآن على الأرجح بأنها «اختلال حسّي في الاندماج»، وهي حالة تسبب اعتلالاً في الإدراك الحسي في دماغ الطفل، وتصبح الأضواء أكثر سطوعاً، والأصوات أكثر ضجيجاً، أو يشعر بأن الملابس تسبب له الحكة.

الطفل الذي كان يتم عدُّه، قبل خمسٍ وعشرين سنة، «غير رياضي»، قد يتم تشخيص حالته اليوم بأنها نقص في تطور القدرة العقلية على الانتقال من تصوّر الحركة البدنية إلى تنفيذها.

التصنيف الجديد للاضطرابات يتسع باستمرار. وبحلول الوقت الذي ينتقل فيه الأطفال إلى مرحلتي الطفولة الثانية والمراهقة، يزداد ببساطة عدد الذين يعانون مشكلاتٍ تتعلق بالقراءة، والكتابة، والكلام، والإصغاء، والحساب. في الثلاثين سنة الماضية، كان عدد الأطفال الذين تم تصنيفهم بموجب القانون الاتحادي بأنهم «أفراد يعانون صعوباتٍ في التعلم» قد ازداد 82 %.

عدد الأولاد بين 3-21 سنة مع صعوبات محددة في التعليم بموجب قانون أفراد يعانون من صعوبات تعليمية، 1974-2004

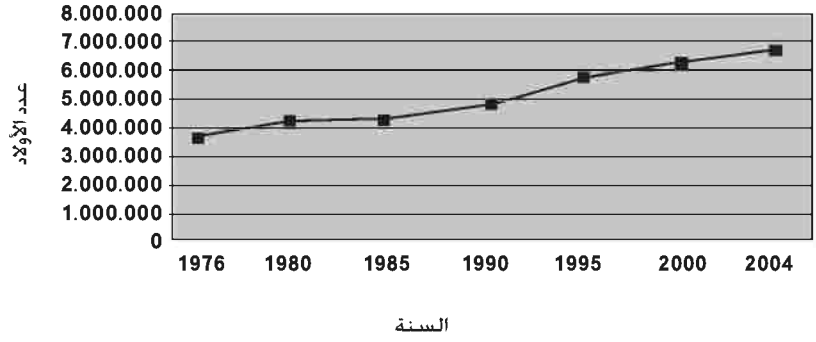

تتضمن صعوبات محددة في التعليم مشكلات في التعبير اللفظي، والقدرة على الفهم، والتعبير الكتابي، ومهارات القراءة أو الحساب

المصدر: وزارة التعليم الأمريكية، المركز القومي لإحصائيات التعليم، 2006 .

لا أحد يعرف بالتأكيد إن كان المزيد من الاهتمام من قبلنا هو ما يجعلنا نجد المزيد من المشكلات المذكورة أعلاه. هناك على الأرجح عوامل بيئية وأخرى تسهم في ذلك. لكن ليس هناك شك أنه حالما نفحص، ونشخص، ونصنّف الأطفال بدقة أكبر، نرى المزيد من المشكلات.

ومن يشجع التدقيق في الأمر؟ الميسورون بالطبع. على الرغم من أن الأطفال الذين يعانون صعوباتٍ في التعلم ينتمون إلى طيف واسع من العائلات وفقاً للدخل الذي تحصل عليه، إلا أنهم عملياً أكثر ظهوراً في أعلى الطبقة الوسطى. (من غيرهم، بالمحصلة، سيقضي وقتاً طويلاً وينفق الكثير من المال ليجدوا أن أطفالهم عاديون؟).

لا يوجد في معظم مدارس النُّخبة المكلفة اليوم معلمون فقط، وإنما «مختصون في التعليم» يتابعون تطور كل طفل على حدة. تتضمن القراءة، والكتابة، والحساب اليوم أيضاً تركيزاً على الانتباه، والاندماج الحسّي، والحركة. النتيجة الغريبة أنه في مجتمعات الدخل المنخفض، غالباً ما تدل «خصائص معينة» على مستقبل أكاديمي زاهر؛ في حين في المجتمعات الميسورة، عدم وجود معالج مهني، أو مدرب نطق، أو مستشار اجتماعي - عاطفي في الوقت الذي يبلغ فيه الطفل 12 سنة يعد عملياً إشارة على إهمال الوالدين له.

انظر فقط إلى الشهادة الثانوية. بين سنتي 1990 و2005 وحدهما، تضاعف عدد الطلاب الذين تم منحهم وقتاً إضافياً للحصول على الشهادة الثانوية، إلى أكثر من 40.000 من بين 2 مليون طالب يخضعون للفحص في البلاد. ولا يمكنك الحصول على هذا الوقت بتقديم طلب عادي فحسب. ينبغي أن يكون لديك إثبات مؤكد عن الصعوبة التي تواجهها في التعليم من طبيب نفساني، إضافة إلى إثبات أنك كنت تلتزم بكل التعليمات التي أوصى بها ذلك الطبيب في اختبارات المدرسة الثانوية العادية. من يحصل على كل ذلك؟ يمكنك أن تخمّن أنها على نطاق واسع العائلات التي لديها الوقت والمال للمختصين، والتقويم، والمعالجة (ناهيك عن ذكر مهارات الدفاع المطلوبة للحصول على الوقت الإضافي).

وهكذا، ابتداءً من سنة 2005، يحصل أكثر من 40.000 طالب ثانوي على وقت إضافي لتقديم امتحان الشهادة. يساوي ذلك عددياً كل الطلاب الجدد الذين يلتحقون بجامعة ولاية أوهايو، وجامعة تكساس، وجامعة بنسلفانيا، وجامعة كارولينا الشمالية، وجامعة فيرجينيا، وجامعة أورال روبرتس، وفاندربلت، وتكساس إيه آند إم، وييل مجتمعة.

وحيث توجد وفرة، يوجد عمل. كان اهتمام الوالدين الشديد قد تحول إلى دروس خصوصية بعد المدرسة التي وصلت تكلفتها إلى 4 مليارات دولار سنوياً، بنسبة نمو تبلغ 15 %. كانت كل من مراكز تعليم سيلفان Sylvan (أكثر من 1000 الآن على امتداد البلاد) ومراكز تعليم سكور Score التي تمتلكها كابلان Kaplan قد بدأت تقديم دروس خاصة ليس لمراهقين يعانون صعوبات، وطلاب طموحين فقط، وإنما لأطفال في الرابعة من العمر يخشى أهلهم أن يتأخروا عن أقرانهم.

لو أنني كنت أعيش الآن في بلد بدأ للتو انطلاقته في حقل التعليم، كنت سأستثمر بشيء مشابه لمراكز تعليم سيلفان. بعد عقد من الآن، ستكون الدروس الخاصة بعد المدرسة، وتعليم الأطفال، في ذروة النشاط.

انتبه، بطبيعة الحال، إلى «تقسيم الاضطرابات». فيما قد يرى عامة الناس وصمة في إعاقات الأطفال المتعلقة بأي طريقة كانت بالدماغ، إلا أن الميسورين يحملونها بوصفها شارةَ شرفٍ، ويشرحون بإسهاب السبب الذي يجعل أولادهم متأخرين عن أقرانهم.

وانتبه من تأثير ذلك في الأطفال بوجه عام. مع وجود المزيد من الأطفال الميسورين الذين يتم إرسالهم إلى المختصين وتشخيص الاضطرابات التي يعانونها، ربما يكون «أفضل وألمع» ذلك المجتمع -الشبان الذين يحصلون على الأرجح على تعليم جيد ويذهبون إلى الجامعة- يحملون رسالة بأنهم يحتاجون إلى مساعدة خارجية كبيرة ليصبحوا «عاديين». حالياً، يشكل الأشخاص المولودون بعد سنة 1980 الجيل الأكثر حصولاً على الرعاية الطبية في التاريخ. بعد أن يصبح هؤلاء في الجامعة، تُظهر الدراسات أن قرابة 1 من كل 10 طلاب جامعيين يسعى للحصول على استشارة طبية ذهنية، ويلجأ 25 % منهم إلى الطب النفسي - ارتفاعاً من 9 % سنة 1994.

سيقول بعض القراء: إنني بالغت في التركيز على اضطرابات الطفولة. لكن انتشار حالات جديدة بدأ يظهر الآن. في سنة 2005، تم تعديل الكتيب الطبي الرئيس عن الصحة

الذهنية للرضّع -أي، أطفال بعمر 0-3 سنوات- ليتضمن نوعين جديدين من الاكتئاب، وخمسة أنواع جديدة من اضطرابات القلق، وستة أنواع جديدة من اضطرابات السلوك الغذائي. لهذا يبدأ الوالدان العمل باكراً.

تريح الأمريكيين فكرة أن أي عائق يواجه طفلهم ليس ذاتياً، وإنما نتيجة أذية خارجية سابقة ينبغي التغلب عليها. كان نظام الفحص قد أصبح شيئاً مثل لعبة، ويعرف الجميع الآن أن الدروس الخاصة تحقق فرقاً في العلامات - لهذا يكون أي والدين يستطيعان توفير وقت إضافي لولدهما يشاركان بتلك اللعبة بطريقة أو بأخرى. مهلاً، ما خطب ذلك الطفل؟ شيء ما - لكنه ليس خطيراً. تلك هي الإجابة التي يقدمها المزيد والمزيد من الأطفال لتفسير تراجع أدائهم.

حياكة اليافعين

تستعد ابنتي التي تبلغ من العمر 4 سنوات للذهاب إلى رياض الأطفال، وكنت أبحث أخيراً في مواقع الإنترنت عن بعض أفضل المدارس الخاصة في واشنطن العاصمة. كانت إحداها تضع إعلاناً عن نشاط لا صفّي لطلاب الصف السابع عن الحياكة. حياكة؟ في القرن الحادي والعشرين؟ في عاصمة البلاد؟ هل يمزحون؟

يا للأسف! كنت أنا الذي لا يدري بما يجري حوله.

في بلد يمكنك فيه شراء كنزات وأوشحة من كمارت Kmart مقابل أقل من 15 دولاراً، لا يزال قرابة 20 مليون شخص في أمريكة يحيكون ملابسهم بأنفسهم. والمجموعة الأسرع نمواً من الأشخاص الذين يحيكون (باستعمال صنارتين) أو يحبكون (باستعمال إبرة واحدة معقوفة) تتألف من مراهقات وشابات في العشرينيات من أعمارهن.

يافعات يعرفن الحياكة، 2002-2004

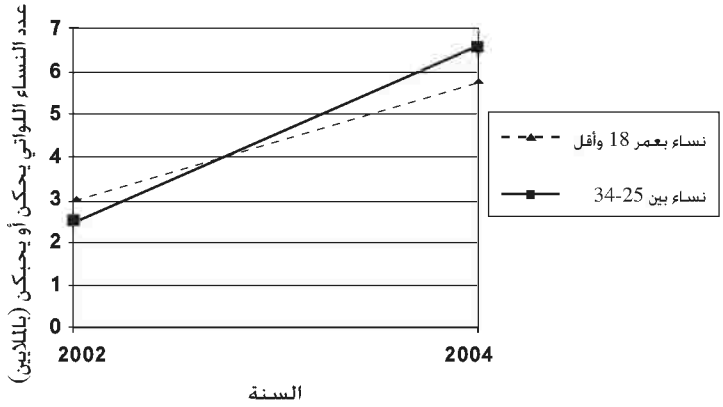

المصدر: مجلس حرفة الغزل الأمريكي، 2006.

بالنسبة لنشاط يبلغ من العمر خمسة وعشرين قرناً، الحياكة مزدهرة جداً.

هذه النزعة، بالطبع، مقلوبة رأساً على عقب. عندما تفكر في الحياكة، يتبادر إلى ذهنك جدّات في كراسي متأرجحة؛ وعندما تفكر في مراهقات، تفكر في التقانة طوال الوقت. وبالرغم من ذلك يقمن بالأمر، مع نحو 6 ملايين راشدة في أمريكة، واللواتي يعملن على الحاسب وفي الحياكة، وتقودهن شخصيات شهيرات مثل جوليا روبرتس، وكاميرون دياز، وساره جيسيكا باركر.

بين ليلة وضحاها عملياً، انتقلت الحياكة من الأسمال إلى قمة الأناقة. هناك مدونات عن الحياكة، وحملات توزيع قمصان لـ«إعادة إحياء الحياكة» وغرزة في الخلف (وغرزة في الأمام) التي جذبت عشرات آلاف النساء في مدن على امتداد البلاد. قدمت شبكة سكربس هاورد التي تدعى «قم بذلك بنفسك» حياكة جميلة، وهي جولة أسبوعية عبر أشكال حياكة يتم تسويقها تحت أسماء «جديدة، قوية، رائعة». كانت فوغ Vogue للحياكة قد أطلقت مجلة لخياطين تحت 25 سنة. ظهر كتاب ديبي ستولر غرزة ودرزة: دليل الخياطة في قائمة أفضل الكتب حسب نيويورك تايمز سنة 2004 وقد بيع منها نحو 100.000 نسخة. بيع من الكتاب التكملة، صنارة الغرزة والدرزة: الإبرة السعيدة، 25.000 نسخة في أثناء شهرين من طرحه في الأسواق.

الخياطات اليافعات لسن زمرة معزولة عن العالم، مناهضة للتقانة. تنتسب آلاف الأعضاء في ماي - سبيس MySpace، موقع الشبكة الاجتماعية الشهير جداً، إلى مجموعات حياكة فرعية، مما يشير إلى أن مراهقات اليوم مرتاحات للتمتع بجانبين عالٍ ومنخفض التقانة - حسناً، متشابكين معاً.

حتى الصبية يشاركون في ذلك. يقدّر خبراء المهنة أن نحو 4 % من الذين يحيكون بالصنارة على مستوى البلاد رجال، مع صبية مراهقين يقومون بارتداء قبعات منزلية الصنع لاتقاء برد الصباح والتزلج على الثلج أو ركوب الأمواج. (إذا لم تكن كاميرون دياز مثلهم الأعلى، يمكنهم التطلع نحو لاعب كرة القدم الرائع روزي غرير، الذي من الواضح أنه يعمل بالحياكة والتطريز على الخط الجانبي بين أشواط المباراة. وفقاً لموقع

www.MenKnit.net، المفترض أن الفضل يعود للنساء في الحياكة، إلا أن الحقيقة أن الصيادين هم أول من صنع كنزات ثقيلة لارتدائها في أعالي البحار، وهناك الجنود الذين صنعوا على نطاق واسع جوارب دافئة في الحرب العالمية الثانية).

لكن إذا كنا نتشاجر حول إرث الحياكة، فمن الواضح أنها طريقة مثيرة أكثر مما كنا نعتقد. لهذا، من أسهم في ترويج إبر الحياكة مجدداً؟

بوجه عام، ربما يكون ارتفاع شأن الحياكة جزءاً من نزعة أكبر ظهرت بعد 9/11. ارتفعت شعبية الطهي، وكذلك لم شمل العائلة، وموضوعات تبسيط نمط الحياة. حصل الحرفيون بوجه عام على الكثير من الاهتمام (تضاعفت مبيعات آلات الخياطة بين سنتي 1999 و2005)، ويُقال: إن الحياكة خاصة -بغزراتها المعتادة المنتظمة- تزيل الضغط وتخفف من ضغط الدم. يقسم المدخنون سابقاً إنها ساعدتهم في الإقلاع عن التدخين. يستعمل الناس عبارات مثل «المنطقة» لوصف تجربة الحياكة، ويدعونها «اليوغا الجديدة» و«التأمل الجديد».

إنها علاج، ويمكن أخذ قبعة إلى المنزل بعد الانتهاء منه.

لكن بالنسبة للشبان، فإن إغراء الحياكة أكبر حتى، وهي تجمع بين أفضل ما في عوالمهم. الحياكة شأن اجتماعي مثل ماي-سبيس، مع مجموعات تجتمع للقيام بذلك على نحو مشترك – والاستمتاع بالأحاديث التي رافقته طوال خمسة وعشرين قرناً. إنها صنعة تتعلق بمهارة القيام بها، مثل ألعاب الفيديو – مع فرصة التقدم نحو تحدٍّ أكثر صعوبة والشعور بالرضا التام بعد الانتهاء منه. وفي عالم المراهقين الذين يحاولون تمييز أنفسهم اليوم (يظهر بأوضح صوره عندما يذهب أحد هؤلاء إلى الجامعة)، يمكن أن تصبح الملابس والإكسسوارات المصنوعة يدوياً طريقة ذكية ومبدعة لإظهار هوية الشخص الفريدة.

فوق كل ذلك، من لا يرغب في علبة هاتف خليوي، أو لباس بحر، أو حزام غيتار مصمم بأناقة، تقوم أنت أو صديق لك بصناعته يدوياً؟

لكن هناك المزيد. مثل الراشدين الذين يحيكون لتخفيف الضغط، يتطلع المراهقون على نحو متزايد أيضاً إلى استراحة من الاتصال بالإنترنت 7/24 ومن كثافة الواجبات الجامعية. في بعض الحالات، يستغل الراشدون هذه النزعة لمصلحة الشبان، ويحثونهم على الحياكة بوصفها طريقة لتحسين انتباههم وتركيزهم، وتنشيط تفكيرهم الإبداعي، وتطوير مهاراتهم الحسابية. تدّعي بعض المواقع أن الحياكة تخفف من الإدمان. كانت مدارس والدورف Waldorf الخاصة قد جعلت الحياكة جزءاً من منهاجها الدراسي.

هذه قصة أخرى توضح كيف أن لكل فعل، هناك رد فعل - لكل حركة تقانة عالية، هناك حركة تقانة منخفضة يتبعها ملايين الناس. ويوضح ذلك فكرة أساسية هي أنه على الرغم من أن الناس لا يجدون وقتاً كافياً، إلا أن العديد منهم يبحثون عن طرق للتخفيف من عدم تركيزهم. وهذا هو اقتصاد الخدمات، ويريد الناس متعة ابتكار شيء بأنفسهم وأن يستطيعوا القول: «أنا صنعت ذلك».

تأثيرات حياكة اليافعين كبيرة. في سوق الحرف نفسها، هناك على ما يبدو طلب متزايد على ألوان أكثر، وأشكال أفضل، و«غزل يُماشي الموضة»، يتداخل فيه الصوف، والفرو، وشرائط الزينة، وأكثر لمعاناً مما كانت تحيكه الجدّات الطاعنات في السن. وفقاً لمجلس حرفة الغزل، بين سنتي 2004 و2005 وحدهما، ارتفعت مشتريات الغزل 56 %.

ضمن عالم الأزياء، ينبغي أن نتوقع المزيد من الحياكة في المستقبل، والمزيد من الملابس الفاخرة المصنوعة يدوياً. أنا، من ناحيتي، لا أعرف إن كانوا يستطيعون حياكة لباس بحر بكيني - لكن لم أعرف أيضاً أنه كان يتم تنظيم «لقاءات» حياكة كل أسبوع في مدن على امتداد أمريكة إلا مؤخراً.

على أي حال، الأهمية الحقيقية لخياطين يافعين هي عدم وجود عدد محدد من الأشكال الفنية، ويولي العديد من الأطفال اليوم الأمر اهتماماً أكثر مما ندرك، وهم شغوفون بشأن ابتكار منتجات عملية ومفيدة تشير إلى وجودهم في العالم. يمكنهم استعمال الحواسيب جميعاً، لكنهم يحبون سماع صوت إبر الحياكة أيضاً.

بغض النظر عن السيدة ديفارج، التي جعلتها حياكتها لأكفان ضحايا الثورة الفرنسية واحدة من أشهر الخياطات (وأكثرهن شراً) في الإنتاج الأدبي. خياطو اليوم ليسوا كباراً في السن ولا «ماكرين» بالمعنى الشرير، وهم يصنعون غرزة تلو الأخرى؛ لأن ذلك عمل مسالم، وعملي، وبدني، ويحبونه.

يدل هذا أيضاً على أن المراهقين اليوم ينتقلون من هوس إلى آخر، ولا تزال هناك فسحة لكثير من المنتجات التي يمكن للمرء أن يصنعها بنفسه. أطلقت شركة نايكي Nike حملة «اصنع حذاءك الخفيف بنفسك»، مع قماش وألوان متكاملة. تعرض الشركات الآن طرقاً جديدة ليقوم الناس بتصميم أدوات تجميلهم، وخواتم خطوبتهم. لكن ماذا عن الأشخاص الذين يصنعون ربطات عنقهم؟ ماذا عن أدوات صنع سراويل الجينز حتى يستطيع الأطفال وضع فتحات في كل الأماكن الصحيحة؟ يقوم الناس بإجراء عمليات تجميل، ويطلبون قمصاناً خاصة بهم، والسوق مفتوح تماماً للخياطين، ولأفكار جديدة تسمح للناس بالاسترخاء والحصول على شيء يمكنهم استعماله بعد الانتهاء من صنعه.

المُثل العليا للمراهقين السود

ربما ليست هناك مجموعة في أمريكة أكثر محبة للتقليد من الفتيان المراهقين - وخاصة، الفتية المراهقين السود. في سنة 2002، وجد مركز كيسي Casey الصحفي في دراسة عن الأطفال والعائلات أن أكثر من 90 % من قصص الأخبار التي تغطي الشبان في أمريكة تركز على الجريمة، وإساءة المعاملة، والإهمال، مقارنة بأقل من 5 % تركز على موضوعات بنّاءة مثل العناية بالأطفال، أو ضمان الرعاية الصحية، أو تطوع الشبان. في وسائل الإعلام، يشكل المراهقون أخباراً سيئة.

بالرغم من ذلك، الحقيقة هي أن هناك جيلاً جديداً - وينبغي أن تفسح الأنماط الجاهزة التي كانت سائدة في الخمسينيات والستينيات المجال أمام حقيقة العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. التقدم الذي حققه قطاع من المجتمع الأسود مذهل تماماً. بالرغم من أن عدة مئات آلاف من المراهقين السود يقعون في متاعب مع القانون كل سنة، هناك عدة مئات من الآلاف أيضاً ينتسبون إلى الجامعات ويخططون لمسيرتهم المهنية. الشبان السود هم المجموعة الأسرع نمواً بين خريجي الكليات، وعندما يحصلون على إجازاتهم الجامعية، غالباً ما تكون عروض عمل مغرية في انتظارهم. انبثاق هذه الطبقة الجديدة من السود الذين يحققون إنجازات مهمة يغير ثقافة أمريكة، يحطم أنماطاً جاهزة قديمة، ويمزق الحواجز العرقية في الوظائف وأروقة السلطة. لم يعد الأمر يتعلق بالطريقة التي يجنح بها الشبان السود نحو الطريق الخطأ، وإنما بالتزامهم بطريق صحيح. بالنسبة لنزعة مجهرية متزايدة عن الشبان السود، النظام يعمل.

ربما ما يدعم هذه الأخبار الجيدة هي الطبيعة المتمسكة بالقيم لهؤلاء الشبان. لدى مقارنتهم بناءً على المؤشرات الرئيسة الثلاثة للمواطنة الصالحة -الذهاب إلى الكنيسة،

التطوع، والتصويت- إما يتفوق السود على البيض أو يكون تمثيلهم أكبر من نسبتهم من عدد السكان.

فيما يتعلق بالذهاب إلى الكنيسة، تفوق المراهقون السود على نظرائهم البيض. في السبعينيات، كان أكثر من 4 من كل 10 مراهقين بيض يذهبون بانتظام إلى الكنيسة، مقارنة بثلث المراهقين السود فقط. في السنوات الثلاثين الأخيرة، انعكست النزعة تماماً. الآن، أكثر من 4 من كل 10 مراهقين سود يذهبون بانتظام إلى الكنيسة، مقارنة بأقل من ثلث المراهقين البيض.

نسبة الطلاب المراهقين الذين يذهبون إلى طقوس دينية مرة على الأقل في الأسبوع، وفقاً للعرق، 1976 مقارنة مع 2004

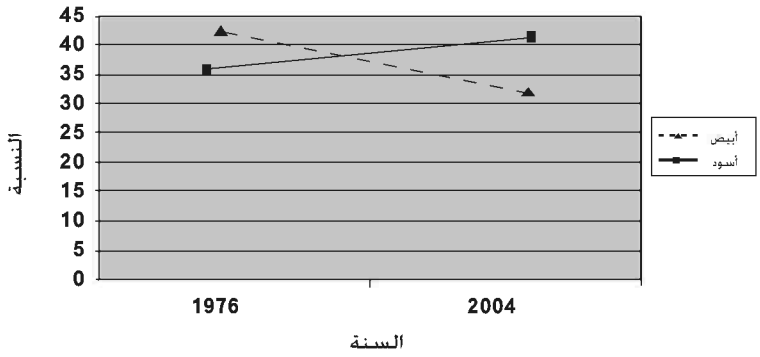

المصدر: نزعات الأطفال، 2004.

إضافة إلى ذلك، بين المراهقين سنة 2004، قال أكثر من نصف الطلاب السود (54 %): إن الدين يؤدي دوراً مهماً في حياتهم، مقارنة بنحو الربع فقط (27 %) من الطلاب البيض. على الرغم من أن الذهاب إلى الكنيسة ليس المقياس الوحيد للتدين، إلا أن دراسات أظهرت أن أخذ الدين على محمل الجد يرتبط بقوة مع انخفاض تناول الممنوعات والكحول، وتأخر النشاط الجنسي، ومواقف وسلوك الإيثار. يرتبط أيضاً مع انخفاض ارتكاب الجنح، والمجازفة، ومقدار أكبر من الرياضة والعناية الشخصية، ومتاعب أقل في المدرسة ومع الشرطة. نعم، نسبة تسرب السود من المدارس الثانوية أعلى

من البيض، لهذا لا يظهر بعضهم في دراسة المراهقين تلك. لكن التناقض الصارخ هنا يشير إلى أن الوقت قد حان لإعادة تقويم بعض الأنماط الجاهزة عن المراهقين.

على جبهة التطوع، على الرغم من أن معدلات التطوع بين السود كانت تقليدياً أقل من البيض، إلا أن عدد المتطوعين من المراهقين السود كان قد ارتفع بثبات في أثناء عشر السنوات الماضية، وتعادل الآن (وفي بعض السنوات الأخيرة كانت أعلى حتى من) معدلات البيض. عند توسيع المجموعة العمرية إلى 15-25، يصبح السود على الأرجح بين كل المجموعات العرقية/الإثنية التي تقول: إنها تظن أن بمقدورها إحداث فرق في مجتمعاتها. وعندما تنظر إلى الرجال فقط، يكون معدل التطوع في الواقع لدى الشبان السود (63 %) أعلى من البيض (57 %) أو اللاتين (48 %). في برنامج خدمة المجتمع الرائد سنة المدينة City Year، الذي يقوم عبره يافعون تتراوح أعمارهم بين 17-24 سنة بالخدمة سنة بعد الثانوية، يشكل السود 32 % من مجموع المتطوعين - هذا أكثر من ضعف نسبتهم من مجموع عدد السكان.

أخيراً، عندما يتعلق الأمر بالنشاط السياسي، والتصويت، والدراسات المدنية، يتفوق الشبان السود على نظرائهم أيضاً. وفقاً لدراسة سنة 2007 التي قام بها سيركل Circle، مركز المعلومات والأبحاث عن التعلم والاندماج المدني، حصل الأمريكيون-الأفارقة على أعلى نسبة بين الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين 15-25 في كل من التسجيل للتصويت والنشاط السياسي. يشكلون أيضاً المجموعة العرقية/الإثنية الوحيدة من الشبان التي كانت قد زادت من مشاركتها في انتخابات التجديد النصفي. الشبان السود هم أيضاً المجموعة التي تعدّ التصويت أمراً بالغ الأهمية؛ وبنسبة 72 %، هي أكبر داعم لاعتبار صفوف القوانين المدنية أو الحكومية ضرورة لازمة للتخرج من المدرسة الثانوية.

هذا النوع من الجهود المدنية والإسهامات الديمقراطية البنّاءة ليس ما يشتهر به الشبان السود عادة. يشكل المراهقون السود موضوعاً يسود بشأنه أنماط جاهزة سلفاً، ونتيجة لذلك، تتراجع فرصهم وينخفض الاستثمار المخصص لهم عن القيمة المرجوة.

بالرغم من عدم وجود دراسات شاملة عن خلفيات المُثل العليا للمراهقين السود، إلا أنهم على الأرجح يأتون من عائلات تثمّن أيضاً الدين، والتطوع، و/أو العمل الأهلي. (تقريباً نصف الراشدين السود - 46 %- يتطوعون عبر منظمات دينية، وهو معدل أعلى كثيراً من البيض أو اللاتين). ويعرف هؤلاء الشبان ما الذي يسعون إليه عبر قيامهم بتلك الأعمال الجيدة وما يتوقعونه بالمقابل منها. إنهم ينجذبون إلى الكنائس التي تمنح أدوار القيادة للشبان. عندما يتطوعون، ينجذبون إلى أنشطة مثل الإشراف والتدريس (بينما يتفوق عليهم المتطوعون البيض في أنشطة مثل «جمع الأموال» و«تقديم وسائل النقل»). سياسياً، هم عادة ديمقراطيون، لكن دراسة سنة 2002 قالت: إن أكثر من ثلث السود الذين تتراوح أعمارهم بين 18-25 يدعون أنفسهم مستقلين. القصد هو: معظم الشبان السود في أمريكة يتمتعون بالرصانة، وينخرطون في أعمال تفيد المجتمع، ومستقلون، ومستعدون لإحداث فرق إيجابي في حياة الناس.

هذه التطورات بين الشبان السود جزء من نزعة أكبر تصبح عبرها أفعال السود أفضل من ذي قبل في أمريكة. كانت معدلات التسرب من المدرسة الثانوية بين الشبان السود قد تراجعت من نحو 30 % في أواخر الستينيات إلى 10 % الآن. كان معدل تسجيل السود في الجامعات بين خريجي المدارس الثانوية أخيراً قد ارتفع إلى نحو الثلثين، من 45% فقط سنة 1972. بين سنتي 1976 و2004، تضاعف تقريباً عدد الرجال السود الذين يتخرجون في الجامعات كل سنة (وازداد عدد النساء السوداوات ثلاثة أضعاف تقريباً). ازداد عدد حملة شهادة الماجستير من السود أكثر من الضعف في تلك المدة، بينما لم يزدد عدد الذين حصلوا على شهادة الماجستير من البيض سوى 39 % فقط.

ومقارنة بخمسين سنة مضت، كان عدد عائلات السود التي تعيش برخاء قد ازداد على نحو كبير. تنتمي أكثر من 40 % من أسر السود إلى الطبقة الوسطى الآن، ارتفاعاً من نحو 20 % سنة 1960. يمتلك 42 % من السود منازلَ خاصة بهم، وارتفع ذلك الرقم بين المتزوجين السود إلى 75 % على الأقل. ارتفع عدد الشركات التي يمتلكها سود 45 % بين سنتي 1997 و2002. كان أداء بعضهم جيداً جداً، حتى إنهم قد يصبحون جمهوريين.

ما يعنيه هذا أن الطبقة الوسطى من السود ليست أكبر فقط مما قد يعتقده معظم الأمريكيين من مشاهدة أخبار المساء – لكن هناك أيضاً مجموعة جديدة من الشبان السود استطاعت تحقيق ثروة وتقود المجتمع بطرق مختلفة. بالفعل، معظم المراهقين السود في أمريكة-بمن في ذلك الفتيان- ينضمون إلى المدارس، ورعون نسبياً، ملتزمون بالديمقراطية الأمريكية، ويقومون بما ينبغي عليهم (أو أكثر) لجعل أمريكة أفضل. لا يشكل هؤلاء سوقاً حقيقية مستهدفة للتقانة والملابس والرياضة والترفيه فقط، وإنما هم أفراد مستعدون أيضاً للجامعات، والوظائف، والتطوع، وانتهاز الفرص القيادية عند كل مستوى.

صحيح أن الكثير من الشبان السود في أمريكة يكافحون، وينبغي لأمة مزدهرة مثل أمتنا أن تولي مقداراً كبيراً من العناية للتحديات التي يواجهها هؤلاء. لكن وسائل الإعلام والمسوّقين بحاجة لتصحيح بعض المفاهيم أيضاً، والتعريف بالمواطنة الرائعة التي يمثّلها معظم الشبان السود. يظهر السود الذين حققوا إنجازات ذات شأن حولنا، وتقدموا على نظرائهم البيض. إنها مسألة وقت فقط قبل أن تدفع هذه المجموعة الناجحة لإجراء تغيير جوهري في المجتمع الأسود. إنهم شهود على ما هو صحيح في أمريكة في وقت تبدو فيه الكثير من الأشياء خاطئة.

تجار المدرسة الثانوية

عندما كنت في عمر 13 سنة، بدأت أول عمل لي - بعت طوابع لهواة جمعها عبر البريد. بالإعلان في نيويورك تايمز، طوّرت قاعدة عملاء لطوابعي وكانت تلك تجربتي الأولى مع العمل. احتفظت بكتب خاصة لجمع الطوابع، واشتريتها جملة من مزادات، وبعتها تجزئة عبر البريد. لم أكن أطيق صبراً لتفقد صندوق بريدي بعد المدرسة في طريق عودتي إلى المنزل. لم يكن الكثير من أصدقائي يعملون في ذلك الوقت.

اليوم، جعلت الإنترنت وموقع إي-باي eBay التجارة بالنسبة للمراهقين أسهل من ذي قبل، والنظارات التي تشتريها من الموقع قد تكون من أحد تجار المدرسة الثانوية على الطرف الآخر. أكشاك بيع الليمون، وبطاقات المعايدة، ومجالسة الأطفال انتهت، إنه زمن المواقع الإلكترونية. في الواقع، وفقاً لبزنس ويك، ابتداء من سنة 2000، كان 8 % من كل المراهقين –أو نحو 1.6 مليون يافع في الولايات المتحدة - يجني أموالاً من الإنترنت.

بالتأكيد، كان بعضهم يبيع فقط بطاقات كرة القاعدة القديمة التي كان آباؤهم يحتفظون بها على إي-باي، أو يتخلصون من آلة تصوير عيد الميلاد التي كانت قد أصبحت عتيقة الطراز. لكن على نحو متزايد، يحول الأولاد نشاطهم المفضل – التفاعل إلكترونياً – إلى عمل جدّي. وجزء من السبب هو أنهم يستطيعون ذلك، وعندما تكون واجهتك للعالم موقعاً إلكترونياً أنيقاً – وكل تعاملاتك تتم عبر شبكة فاعلة وآمنة – من يحتاج لمعرفة أن وجهك الحقيقي يحتاج إلى المزيد من قوة الإقناع؟

هل تعرف أن www.ChocolateFarm.com، الشركة التي تتخذ من كولورادو مقراً لها ولديها نحو اثني عشر موظفاً وتقوم بعدّة آلاف عملية بيع في اليوم، تبيع منتجاتها «أبقار بنية»، و«خنازير في الطين»، و«سلاحف الجوز» التي حازت جوائز عديدة إلى محبي الشوكولا في كل أنحاء البلاد؟ بدأت المؤسسة والرئيس التنفيذي إليز ماكميلان

دراستها الجامعية سنة 2007. أطلقت الشركة عندما كان عمرها 10 سنوات، فيما تولى شقيقها إيفان، 13 سنة، إدارة الموقع الإلكتروني. أو خذ أناند-تيك.كوم .AnandTech com، موقع استعراض الأجهزة الرائد الذي يقدم لـ130.000 متصل بالموقع كل يوم أنباءً وتحليلات عن آلات التصوير الرقمية، وآلات تصوير الفيديو، وأجهزة حاسوبية أخرى. أطلق أناند شيمبي، من راليغ في كارولينا الشمالية، الشركة سنة 1997 عندما كان عمره 14 سنة.

حصلت بعض تلك الشركات على جوائز قيّمة. وفقاً لمجلة ينغبيز YoungBiz، جنى أفضل 100 رجل أعمال في أمريكة تتراوح أعمارهم بين 8-18 سنة 2001 أرباحاً إجمالية بلغت 7 مليارات دولار.

ويحب الأطفال اليوم هذه الأشياء. وفقاً لـ«إنجاز اليافعين»، قال أكثر من 7 من كل 10 مراهقين: إنهم مهتمون بأن يصبحوا رجال أعمال، ارتفاعاً من 64 % سنة 2004. قال النصف تقريباً: إن ذلك يعود إلى أن «لديهم فكرة رائعة يرغبون في رؤيتها تتحقق»؛ وقال ربع آخر: إن السبب يعود إلى رغبتهم «في جني أموال أكثر مما قد يحصلون عليه من العمل لدى شخص آخر». هؤلاء ليسوا مراهقي الأمس الذين يوزعون الصحف ويجالسون الأطفال؛ لكسب نقود يشاهدون بها أفلاماً (يمكنهم الآن تحميل الأفلام من الإنترنت، على أي حال). يريد أولاد اليوم إنشاء وإدارة عملهم الخاص بهم.

دعتهم مجلة ينغبيز YoungBiz «تجاراً ناشئين» -أو «تجاراً إلكترونيين ناشئين» إذا كانت جبهة أعمالهم الرئيسة هي الإنترنت- ويحظى تجار المدارس الثانوية هؤلاء باهتمام جدّي على المستوى القومي من وسائل الإعلام، ناهيك عن ذكر أساتذة الجامعات. يزداد عدد المعسكرات، البرامج الصيفية، الأنشطة غير الصفيَّة لتحفيز أعمال الشبان. في آب 2006، أطلقت «إدارة الأعمال الصغيرة» في الولايات المتحدة «خطّط لعملك الخاص» - مورد إلكتروني يهدف إلى مساعدة المراهقين على الانتقال بشركة ناشئة من الفكرة إلى تحقيق عائد. ربما يفكرون في اعتماد «لا تمنحه سمكة، علّمه الصيد» شعاراً لهم.

كان القطاع الصناعي قد انتبه إلى تلك النزعة أيضاً. تسعى شركات الإنترنت للحصول على خدمات موظفين شبان يمتلكون المهارة والحافز لأعمال تتطلب دواماً جزئياً. تنصح كثير من الكتب الجديدة الشبان بشأن طريقة جني أموال أكثر من آبائهم. كان قد بيع من والد ثري، والد فقير للمراهقين: أسرار بشأن المال - ما لا تتعلمه في المدرسة! أكثر من 50.000 نسخة في سنتين.

بالطبع، مبادرة عمل الشبان ليست جديدة. أسّس جيم كيسي سنة 1907 ما أصبح لاحقاً يو-بي-إس UPS وكان عمره 19 سنة آنذاك. أسّست باولا أورفاليا كينكو Kinko في السبعينيات بعد تخرجها في الجامعة. لكن هؤلاء الشبان انتظروا سنوات، إن لم يكن عقوداً، لرؤية شركاتهم تتطور. هذه الأيام، يبني المراهقون قاعدة عملائهم لتضم ملايين الأشخاص في أثناء شهور، أو يعرفون أن الوقت قد حان للانتقال إلى المرحلة اللاحقة. (مثل وظيفة اللغة الإنكليزية).

مع ازدهار رأسمالية المراهقين هذه، ربما يسأل المرء إن كان المراهقون هذه الأيام سيرغبون بالرغم من ذلك في الذهاب إلى الجامعة؟ حتى الآن، يحبون القيام بذلك؛ وتقول أغلبية ساحقة من المراهقين: إن الجامعة مهمة لإنشاء عمل. في الواقع، تأسيس عمل ناجح في أثناء الدراسة الثانوية غالباً ما يكون إحدى تلك القصص الرائعة المميزة التي يمكن لهؤلاء وضعها في طلب انتسابهم إلى إحدى الكليات. لكن ماذا عن كليات إدارة الأعمال؟ لأسبابها الخاصة -التي تتعلق بقدرتها على منح الخريجين رواتب مبدئية أعلى- أصبحت كليات إدارة الأعمال تجعل الانتساب إلى صفوفها يتطلب عمراً أكبر، على أي حال. بالنسبة لهذا الجيل الذي يبلغ من العمر 17 سنة، هل ستكون كليات إدارة الأعمال ذات فائدة عندما تصبح أعمارهم ضعف ذلك الرقم، ولديهم خبرة تجارية حقيقية؟

ربما لا يطيق تجار المدرسة الثانوية صبراً لشق طريقهم عبر شركات أشخاص آخرين. حالياً، هناك كثير من الكتب التي تقدم معلومات عن الفجوة بين الأجيال في العمل - حيث يرى مديرون تصل أعمارهم إلى 60 سنة موظفين في العشرينيات يبعثون برسائل بريد إلكتروني في أثناء الاجتماعات، وينظرون إليهم نظرة فوقية لتمردهم - بينما في الواقع

يستطيع الموظفون الشبان أداء أعمال متعددة بمهارة في الوقت نفسه. لكن عندما يجني الأولاد أموالاً باكراً -ليس بالتزامهم فقط، وإنما بإبداعهم أيضاً- هل سينتظرون، وهم في العشرينيات حتى يستطيعوا ارتقاء سلم الإدارة في شركاتهم؟

إحدى أكبر المشكلات التي يواجهها رجال الأعمال المراهقون هي أن القوانين موضوعة لحمايتهم - نتيجة لذلك، قلة من الناس ستقبل العمل معهم إذا عرفوا أعمارهم. كل ما يقوله المراهق تقريباً غير ملزم في معظم الولايات، لهذا يمكنهم التملّص من العقود بطرفة عين. ومن يرغب في أن يكون مسؤولاً عن مراهق والفواتير التي ينظّمها؟ ربما نحتاج إلى إجراء بعض التغييرات في القوانين الخاصة بمسؤولية المراهقين - إذا كان ممكناً معاملتهم بوصفهم راشدين فيما يتعلق بالجرائم التي يرتكبونها، لماذا لا تتم معاملتهم بوصفهم راشدين في العمل؟

عندما نتكلم الآن عن أن العالم مسطح، ينبغي أن نضيف «تجاراً مراهقين عالميين» إلى ذلك المزيج، وملايين الشركات الجديدة التي يمكنها الآن تقديم منتجاتها إلى السوق على أسس عالمية. قبل سنوات، أُصبت بالذهول لأنني استطعت وضع إعلان مبوّب في نيويورك تايمز. اليوم، يمكن لتاجر يدرس في المرحلة الثانوية في دوبوك الحصول على سلع من هونغ كونغ. ربما لا يكون لدى أمريكة كل المهندسين الذين تحتاج إليهم للفوز بمسابقات العلوم العالمية، لكن ينبغي أن نستفيد ونحتفل بالمراهقين الذين يجنون أموالاً. إنهم علامة على أن روح البلد الإبداعية لا تزال متقدة وفي حالة جيدة، وأن أمريكة تغذّي الابتكار عند أول فرصة سانحة بطرق أمريكية فريدة.

فتية قنّاصون

أعمل في تنظيم استطلاعات الرأي منذ ثلاثين سنة. مع كل استطلاع رأي أقرؤه، سواء كان يخص مرشحاً رئاسياً أو عميل شركة -هنا في الولايات المتحدة، أو في مكان آخر من العالم- أتعلم شيئاً جديداً عما يفكر فيه الناس. جزء من سبب محبتي لهذا العمل هو أنني اكتشف كل يوم طموحاً، أو أملاً، أو اهتماماً يشغل الناس، ويكون عليّ مساعدة عملائي في تشكيل منتجاتهم ورسائلهم بناءً على تلك المكتشفات.

لكن بعد ثلاثين سنة ومئات آلاف استطلاعات الرأي، لم يعد هناك كثير مما يمكن اعتباره جديداً. الأمور تثير فضولي، نعم، تشذّب فهمي لما يجري - بكل تأكيد. لكنها لحظة نادرة عندما يستوقفني استطلاع للرأي ويعيد تشكيل فهمي للأمور.

وقعت إحدى تلك اللحظات النادرة في كانون الأول 2006. أجرى صديقي وزميلي سيرجيو بندكسين، رئيس «بندكسين وشركاه» في ميامي وخبير بارز في أبحاث آراء اللاتين العامة، استطلاعاً عبر الهاتف لرأي 600 من سكان كاليفورنيا، تتراوح أعمارهم بين 16-22، وسألهم (بكل طيبة): «ماذا تعتقد أنك ستكون تفعل على الأرجح بعد عشر سنوات؟». كان سؤالاً غير محدد الإجابة، وهذا يعني أن المشتركين يمكنهم قول ما يرغبون (بدلاً من اختيارهم من ضمن قائمة من الإجابات المحتملة). كما هو متوقع، 70 % من الشبان قالوا: إنهم سيكونون يعملون، بعضهم في مهن محددة أو يديرون شركاتهم الخاصة. قال 12 %: إنهم سيكونون في الجامعة، وقال 12 % آخرون إنهم ستكون لديهم عائلات يهتمون بها. قال 1 % إنهم سيكونون في الجيش. وبعدها، على نحو مفاجئ وغير سار، قال 1 %: من الشبان المشتركين في الاستطلاع من كاليفورنيا: إنهم في أثناء عشر سنوات سيصبحون على الأرجح قنّاصين.

في سؤال غير محدد الإجابة، مقابل كل شخص يقول شيئاً على نحو عفوي، هناك عدّة أشخاص آخرين يفكرون فيه. لهذا كان ذلك مهماً حقاً: طموح جديد للجيل الأصغر سناً -ليس الكثير منهم، لكن ما يكفي ليشكل نسبة مئوية- بأن يصبح قنّاصاً.

«ماذا تعتقد أنك ستكون تفعل على الأرجح بعد عشر سنوات؟» (إجابة غير محددة)	
أعمل (وظيفة أو مهنة محددة)	% 37
أعمل (بوجه عام)	% 23
أدرس في الجامعة	% 12
متزوج مع عائلة / أطفال	% 12
أعمل (شركتي الخاصة)	% 8
الجيش (بوجه عام)	% 1
الجيش (قنّاص / رام)	% 1
أخرى	% 6

استطلاع رأي أمريكة الجديدة. سكان كاليفورنيا بين 16-22 سنة. تشرين الثاني 2006

حسناً، ستقول: إنها 1 % فقط. هذا لا يعني شيئاً. لكن كما آمل وأعرض بين طيات هذا الكتاب، يمكن لنسبة 1 % من الناس وتستطيع إحداث فرق كبير، سواء في قطاع الأعمال أو السياسة أو المجتمع. وحقيقة أن 1 % من الشبان في كاليفورنيا ترغب، بحلول سنة 2016، في الانضمام إلى الجيش؛ ليصبحوا قنّاصين تحديداً، جديدة. في الماضي، ربما كانت مهنة قائد طائرة مقاتلة الأكثر جذباً بعد الانضمام إلى الجيش. هذه فكرة جديدة تماماً.

عندما يفكر كثير من الناس في أن يعملوا قنّاصين، تكون لديهم ميول إجرامية. خاصة لأولئك الذين يعيشون في منطقة واشنطن العاصمة، حيث من الصعب التفكير في «قنّاص» دون التفكير في رجلين قتلا عشوائياً، في أثناء ثلاثة وعشرين يوماً في تشرين الأول 2002، عشرة أشخاص بأسلحة نارية بعيدة المدى من سيارتهما. ومواقع القنص الإلكترونية

الرئيسة -نعم، هناك مواقع قنص إلكترونية (مثل www.sniperparadise.com. وwww.snipercountry.com)- لا تفعل الكثير لتحرير المرء من الأفكار الجاهزة سلفاً عن الأمر. يعرض أحدها، في قسم «اقتباسات وقصائد»: «منحني الرب السكينة لقبول أشياء لا يمكنني إطلاق النار عليها، والشجاعة لإطلاق النار على الأشياء التي يمكنني استهدافها، والحكمة لإخفاء الجثث».

لكن الحقيقية الفعلية هي: القنّاص أحد رماة النخبة. إنه جندي مشاة مدرب على إطلاق النار من موقع مخفي، ببندقية ذات دقة عالية بعيدة المدى عادة، وعلى هدف بشري لا يتوقع ذلك. في عالم الحرب، يمثّل القنّاص الضربة الجراحية الأخيرة - يسبب ضرراً كبيراً، بمعيار إزالة التهديد وإلهاء العدو، دون أن يتعرض بالمقابل لضرر كبير، يضطر للاشتباك مع العدو، أو ينكشف أمامه. وهو مختلف. كان مدرب قنّاصين في الجيش قد شرح مرة لمراسل صحفي من يوناتيد برس العالمية: «في حرب فيتنام، كان الجيش يطلق آلاف الرصاصات لتحقيق إصابة واحدة. كان القنّاصون يطلقون 1.3 رصاصة لتحقيق إصابة».

كانت أهمية القنّاصين قد ازدادت على نحو كبير في العمليات الحربية الحديثة. في العراق وأفغانستان، حيث لا تختبئ القوات المعادية للأمريكيين في الجحور وإنما بين المدنيين، يُطلب إلى الجيش الأمريكي أن يخوض معركة فاصلة. هنا في الوطن، مع تهديد الإرهاب لبعض من أكثر المدن ازدحاماً بالسكان، ينبغي أن تكون القوات المسلحة الأمريكية أكثر استعداداً لمواجهة التهديدات دون تعريض المدنيين للخطر. يُقال: إن كلية قنّاصي الجيش الأمريكي (نعم، لكل فرع من القوات المسلحة مكان للتدريب على عمليات القنص) تخطط لزيادة عدد المتدربين سنوياً ثلاثة أضعاف. بينما يصبح القتال في العراق أكثر شراسة، يتم التفكير أيضاً في تشكيل فصائل من القنّاصين.

أخبر جاك كوغلن، مؤلف الرامي: السيرة الذاتية لأفضل قنّاصي المارينز، أخبار صباح دالاس في سنة 2005 أن من يطمح لأن يصبح قنّاصاً هو «عادة فتى الريف، الفتى الذي يترعرع في تلال تينيسي أو تكساس أو شيئاً من هذا القبيل، والذي ينشأ على حب

الصيد». بالتأكيد، سيكون الصيد مفيداً. لكن في استطلاع كاليفورنية الذي أجراه بندكسين، كان كل الذين يطمحون لأن يصبحوا قنّاصين سوداً أو لاتينيين من سكان المدينة. هذه فئة جديدة بالكامل من الرماة ساكني المدن. (على الرغم من أن شيئاً واحداً لم يتغير - كان كل من يطمح بأن يصبح قنّاصاً صبياً).

ولماذا هذا الاهتمام الشديد؟ جزء من ذلك، دون شك، هو زيادة الاحترام للجيش وأجهزة تطبيق القانون في أمريكة. من مستوى منخفض في أثناء حرب فيتنام وبعدها، أصبح الأمريكيون يعدّون القوات المسلحة إحدى أكثر مؤسساتنا ثقة واحتراماً. في آذار 2007، حتى مع اعتبار 4 من كل 10 أمريكيين أن إرسال قوات إلى العراق قرار صحيح، إلا أن نسبة 84 % كانت تنظر بعين الرضا إلى الجنود الذين يقاتلون هناك (تغيير كبير عما كان الأمريكيون يعتقدونه عن الجنود في حرب غير شعبية أخرى، فيتنام).

في ضوء هذه الوطنية الجديدة، يمكن للرغبة في أن يصبح المرء قنّاصاً أن تكون وطنية أيضاً. وهؤلاء ليسوا أوفياء فقط - إنهم قلة، وباردو الأعصاب، ويقومون بعمل خاص. حتى يصبح قنّاصاً، لا ينبغي على جندي المشاة أن يكون شجاعاً فقط، وإنما صبوراً، يسيطر على أعصابه، وذكياً بما يكفي لإتقان صيغ رياضية معقدة مثل كيف تؤثر المسافة أو الريح على مسار الرصاصة. القنّاصون هم نخبة النخبة.

لكن يختلف هذا بالتأكيد عن الدور الذي يظن الأمريكيون عادة أنهم يؤدونه في الحرب - سواء كنت جون ماكين أو جون ف. كينيدي، القتال يعني الوجود على الخط الأمامي، واستعراض شجاعتك مباشرة أمام العدو الذي تستطيع رؤيته ويمكنه رؤيتك. اليوم، اختلف مفهوم أن تكون جندياً على الخط الأمامي، عندما يمكنك إلحاق المزيد من الضرر بالعدو والبقاء بأمان خلف الكواليس.

كان الجنرال جورج س. باتون قلقاً جداً بشأن جنوده على الخطوط الأمامية وذكّرهم بأن ما من جندي فاز بحرب البتة بالموت من أجل بلاده، وأنه يفوز بها بجعل جنود الطرف الآخر يموتون من أجل بلدهم. إلى حدٍ ما، تمثّل حركة القنّاصين قبولاً لتلك

الفلسفة؛ لأننا نحاول الآن خوض حروب بالتخفيف من الإصابات والمخاطر التي كانت تهدد الجنود في الماضي عندما كان القتل يتم على نطاق واسع. وتمثّل تغيراً في تعريف الشجاعة. لطالما شعر الناس بالاضطراب قليلاً من القنّاصين - هل يعملون وفقاً لقواعد؟ الآن، لا يرى هذا الجيل أنهم يعملون وفقاً لقواعد فقط، وإنما يعدّونهم أذكياء، وأكفياء، ومطلوبين بوصفهم مهنة.

هذا هو أيضاً الجيل الذي ترعرع مع الكثير من ألعاب فيديو الرماية. من عالم الحرب إلى نخبة القنّاصين إلى لعبة الجيش الأمريكي جيش أمريكة، الأولاد اليوم مرتاحون بتقفّي أثر العدو والقضاء عليه، على الشاشة على الأقل. ربما تكون تلك الألعاب مسؤولة عن الاهتمام المتجدد بالانضمام إلى القوات المسلحة، والجيش يدرك ذلك - ربما تكون تلك الألعاب قد أفادت بوصفها نوعاً من التدريب المبكر لجنود المستقبل في جيش معاصر.

أخيراً، يتعلق ظهور الأهمية الإحصائية لفتيان يطمحون لأن يصبحوا قنّاصين بثقافة ما بعد 9/11 في أمريكة. أكثر مما كانت عليه الحال قبل عقود، أضحى الشبان اليوم مستعدين للقضاء على الأشرار. قبل 9/11، كان كثير من الناس في هذا البلد سيدعون ذلك النوع من المواقف «بدائية»، أو «ساذجة»، أو على الأقل «غير حسّاسة». لكن منذ 11 أيلول، وجد عددٌ متزايد منا أن فكرة وجود قنّاصين ماهرين لا يكلون ولا يملون إلى جانبنا تبعث على الاطمئنان. يمثل الشرطة، ورجال الإطفاء وعمال الإغاثة الآن أبطالنا بطرق لم تكن ظاهرة قبل عقود. ما تكلفة رصاصة عيار 1.3 من موقع غير ظاهر للعيان، وشرير على الأرض، عندما تعني استتباب الأمن في نفق قطار أو بناء أو مدينة مليئة بالأمريكيين؟ هذا ثمن بخس.

وإذا فكرت في الأمر، كان «اصطياد البشر» موجوداً تحت السطح في ثقافتنا بعض الوقت. كانت قصة ريتشارد كونيل القصيرة «اللعبة الأكثر خطورة»، التي يلاحق فيها صيادون فريسة بشرية، جزءاً من مناهج المدارس الإعدادية الأمريكية طوال قرون. وقدّمت عشرات الأفلام والعروض التلفازية، من الأخطبوط وجزيرة جيليغان لجيمس بوند إلى آل سمبسون إلى زينا الأميرة المحاربة، اصطياد البشر بطريقة أو بأخرى.

لهذا سواء كنت تعد الأمر مزعجاً أو بطولياً، القنص مادة أساسية. تحتشد عشرات شركات الأسلحة وصانعو معدات الرؤية الليلة لرعاية «أسابيع القنّاصين»، وهي مؤتمرات تستمر عدة أيام يجتمع فيها أفراد من الجيش وأجهزة تطبيق القانون من كل أنحاء العالم لتلقي محاضرات، ورؤية عروض، وإجراء تدريبات ومنافسات. ويجنّد ويدرّب الجيش الأمريكي بكثافة الآن هؤلاء المقاتلين ليخوضوا حروب المستقبل.

لهذا يستطيع 1 % - من الناس الذين يرغبون بكل تأكيد في أن يصبحوا قنّاصين - تغيير الطريقة التي ندير بها الحروب وتغيير نوع الجيش الذي نحتفظ به. إنها أيضاً رمز للطريقة التي يرغب الناس في هذا البلد توجيه ضرباتهم بها - التسلل خفية، والابتعاد عن الأماكن المكشوفة.

اسأل أي شخص في السياسة وسيوافقون - إنهم يواجهون «قنّاصين» كل يوم يحاولون العثور على زلّة، أو غلطة لعرضها على موقعي درودج Drudge أو يوتيوب YouTube. لم يكن هناك مثل هذا الانتقاد السياسي كما هو الأمر اليوم، ولذلك السبب وحده، ربما ليس مفاجئاً أن العديد من الشبان معجبون بالقنّاصين - سواء على الإنترنت، أو في السياسة، أو في الشرطة أو الجيش.